

دلائل الإعجاز

التأملِ ومُواطبةِ على التدبيرِ وإلى همّةٍ تَأبى لك أن تقنعَ إلا بالتّمام وأن
تَرَ بِعَ إلاّ بعدَ بلوغِ الغايةِ .
ومتى جَشِمَتْ ذلكَ وأبیتَ إلا أن تكونَ هنالك فقد أمتتَ إلى غرضِ كريمٍ وتعرّستَ لأمرٍ
جَسيمٍ وآثرتَ التي هي أتمُّ لدينكَ وفضلكَ وأنبلكَ عندَ ذوي العقولِ الرَّاجحةِ لك . وذلك
أن تعرفَ حُجَّةَ □□ تعالى منَ الوجهِ الذي هو أضوأُ لها وأنوهُ لها وأخلقُ بأن يزدادَ
نورُها سُطوعاً وكوكبُها طُلوعاً وأن تسلكَ إليها الطريقَ الذي هو آمَنُ لكَ منَ
الشكِّ وأبعدُ منَ الرّيبِ وأصحُّ لليقينِ وأحرى بأن يُبلَّغَكَ قاصيةَ التبيينِ .
واعلمْ أنه لا سبيلَ إلى أن تعرفَ صحّةَ هذه الجملةِ حتى يبلغَ القولُ غايتهِ
وينتهيَ إلى آخرِ ما أردتُ جمعهُ لك وتصويرهُ في نفسك وتقريرهُ عندك إلا أن هاهنا
نُكّتةٌ إن أنتَ تأمّلتَها تأمُّلَ المتنبِّتِ ونظرتَ فيها نظراً المُتأَنِّبِ رَجوتُ أن
يَحْسُنَ ظَنُّكَ وأن تنشَطَ للإصغاءِ إلى ما أُوردهُ عليك . وهي أنّ إذا سُقنا دليلَ
الإعجازِ فقلنا : لولا أنّهم حين سَمِعوا القرآنَ وحين تُحَدِّثُوا إلى معارضتهِ سمعوا
كلاماً لم يَسْمَعُوا قطُّ مثلهِ وأنهم قد رازوا أنفسهم فأحسُّوا بالعجزِ عن أن يأتوا بما
يُوازيه أو يُدانيه أو يقعَ قريباً منه لكان مُحالاً أن يَدَعُوا معارضتهِ وقد تُحَدِّثُوا
إليه وقُرءُوا فيه وطُوبلوا به وأن يتعرضُوا للشّبا الأسنّةِ ويفتحوا مواردَ الموتِ
فقلنا لنا : قد سَمِعنا ما قلتم فخبّرُونَا عنهم عمّا ذا عَجَزُوا عن مَعَانِيهِ فِي
دِقَّةِ مَعَانِيهِ وحُسْنِها وصِحِّتها في العقولِ أم عن ألفاظٍ مثلِ ألفاظه فإنّ قلتم عن
الألفاظِ فماذا أعجزهُم منَ اللفظِ أم ما بهرهُم منه فقلنا : أعجزتْهُم مزايا ظهرتْ لهم
في نظمهِ وخصائصُ صادفوها في سياقِ لفظهِ وبدائعُ راعتهم من مباديءِ آيهِ ومقاطِعِها
ومجاري ألفاظِها ومواقعها وفي مضربِ كلِّ مثلٍ ومساقِ كلِّ خبرٍ وصورةِ كلِّ عظةٍ
وتنبيهٍ وإعلامٍ وتذكيرٍ وترغيبٍ وترهيبٍ ومع كلِّ حُجّةٍ وبُرْهانٍ وصفةٍ وتبيانٍ .
وبهرهُم أنّهم تأمّـلوهُ سورةً سورةً